الشباب وبرُّ الوالدين (2)

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ **[الكهف:١٣].**

نحن في الخطبة الحادية عشرة من سلسلة قضايا الشباب.

تحدثنا: لماذا هذه السلسلة، وتحدثنا عن الشباب في القرآن الكريم, والشباب في حديث رسول الله ﷺ ، وعن الشباب والعلم، والشباب والعمل، والشباب والمسجد، والشباب والعفة، والشباب ووسائل الاتصال الحديثة، وتحدثنا في الأسبوع الماضي عن الشباب وبر الوالدين, ونتحدث اليوم مرةً ثانية عن الشباب وبر الوالدين, وذلك لأهمية بر الوالدين في حياتك أيها الشاب في هذه الدنيا وفي الآخرة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه» قيل مَنْ يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه عند الكِبَر، أحدهما أو كلاهما، ثم لم يدخل الجنة»[1].

وعنه ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال:«أمك»، قال: ثم مَنْ؟ قال: «أبوك»[2].

ولئن كنتُ تكلمتُ في الأسبوع الماضي عن أجورٍ عشرة لبر الوالدين، فإني سأتحدث اليوم عن أمورٍ خمسة بها تُعين ولدك على برك.

أيها الإخوة:

عندما يتحدث القرآن عن حقوق الزوج على زوجته فإنه يتحدث في مواضعَ أخرى عن واجبات الزوج نحو زوجته، حتى تكتمل الصورة من كلّ جوانبها, وعندما يتناول حديثُ سيدنا محمد ﷺ حقوقَ العمال على مدرائِهم فإنه يتكلم عن واجباتهم أيضاً حتى تكتمل الصورة من كل جوانبها, وهكذا عندما يتحدث الإسلام عن حقوق المعلم

---

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (6511), وأحمد في "مسنده" برقم (8557).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (5971), ومسلم في "صحيحه" برقم (6501).

يتحدث عن واجباته نحو طلابه, وعن حقوق الجار يتحدث عن واجباته، وعن حقوق الرحم وواجباتها.

وبناءً عليه, فإن الإسلام عندما يتحدث عن بر الوالدين – وهو حقٌّ لهم على أولادهم– فإنه يتحدث كيف تعين ولدك على البر؟ وكيف تخرجه من العقوق.

وربنا جل جلاله يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[المائدة:٢] ، وفعل (تعاونوا) على وزن (تفاعلوا)، وتَفاعَل يحمل معنى المشاركة، الولد يَبَرُّ أباه والأب يعين الولد على البر، الابن يَبر أمَّه وأمُّه تعينه على البر.

جاء في الخبر: رحم الله والداً أعان ولده على بره، قالوا: كيف يعينه قال: يقبل إحسانَه، ويتجاوز عن إساءتِه.

فكيف تعين ولدك على البر؟

أولاً: باختيار أمه:

لأن النساء يلدن أشباهَهن، وأشباه إخوانهن وأخواتهن.

والمرأة البارة بأهلها تلدُ البارين بأهلهم والمرأة الصالحة تنجب الصلحاء، وإن اختيار الزوجة هو أكثر الاختيارات أهمية على الإطلاق.

وليس النّبتُ ينبتُ في جنانٍ كمثل النّبتُ ينبت في الفلاة
وهل يُرْجَى لأطفالٍ كمالٌ إذا ارتضعوا ثَدِيَّ الناقصاتِ

جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب ﷺ يشكو عقوق ولده فأمره بإحضاره فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين ما حقي على والدي؟ قال: أن يحسن اختيار أمك، ويحسن اختيار اسمك، ويعلمك القرآن، قال: ما فعل شيئاً من ذلك. فقال عمر للأب: انطلق فقد عققت ابنك قبل أن يعقك.

نعم, اختيار الأم, وكذلك على الفتاة أن تختار من سيكون أباً لأولادها.

ثانياً: العدل بين الأبناء:

قال ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم في العطية[1]» وفي لفظ « سووا بين أولادكم في العطية كما يحبون أن يسووا بينكم في البر»[2].

وفي "صحيح مسلم" قال ﷺ «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»[3].

---

(1) علّقه البخاري في "صحيحه" كتاب الهبة: باب الهبة للولد، وأخرجه أبي داود في "سننه" برقم (3546).

(2) هذا اللفظ في "شرح مشكل الآثار" للطحاوي برقم (5073).

(3) هذا اللفظ في "صحيح مسلم" برقم (4181).

وعن الحسن قال: بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم فمسح رأسه وأقعده على فخذه اليمنى, قال: فلبث قليلاً فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه فمسح رأسها وأقعدها على الأرض فقال رسول الله ﷺ: «فهلا على فخذك الأخرى» فحملها على فخذه الأخرى، فقال: «الآن عدلت»[1].

فالعدل بين الأبناء يستخرجُ برَّهم، وتفضيل واحدٍ على الآخر يجلب عقوقهم، ويزرع بذور الشقاق بينهم.

تحدث طبيب شاب قال: أنجب أبي ثلاث بنات ثم أتبعهنّ بثلاثة ذكور، لكن الولد الأول فينا ظلت له مكانةٌ خاصة ومميزة، ويحظى بحب أبي وتفضيله علينا، وقد انعكس ذلك على أمي هي الأخرى التي أصبحت تُفضّل أخي الأكبر, والغريب أن أخي الأكبر أصيب بمرض فزاد الحب له، وأنفق أبي الكثير على زواجه وخصه بعطية كبيرة دوننا، نحن نترحم على أبي الآن بعد وفاته، لكننا كنا نريد أن يعدل بيننا, ولا يفضل أحدَنا على الآخر.

ويقول أحد موجهي وزارة التعليم: رحم الله أبي, كان يفضل أخي الأكبر علينا ويخصه بأدق أسرار عمله, ويقول: إنه يشقى في تحمُّل المسؤولية معه، وكان يتخذه صديقاً له، أما نحن الصغار فلم يكن يُقرّبنا منه, وبعد وفاة أبي استولى أخي على كلِّ شيء ولم نأخذ من إرث أبي إلا القليل القليل، وكان هذا مصدر ألم متجددٍ لنا جميعاً، خصوصاً وأن فينا من لم يُوسع الله عليه في الرزق بينما أخي الأكبر يتمتع بكل الثروة هو وأولاده، ومنا من لا يترحم على أبينا ومن أبنائنا من لا يذكر جدَّه بخير.

عن النعمان بن بشير قال: نحلني أبي نُحلاً فقالت له أمي عَمْرَةُ بنتُ رواحة: إئتِ النبي ﷺ فأشهده، قال: فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال:«ألكَ ولدٌ سواه؟» قال: نعم, قال: «فكلَّهم أعطيت مثل ما أعطيت النعمان؟» فقال: لا. فقال ﷺ : «ارجع فإني لا أشهد على جَور»[2] **وفي رواية «أليس يسرك أن يكونوا لك في البر واللطف سواء؟» قال: نعم, قال: «فأشهد على هذا غيري»**[3] **.**

---

(1) البر والصلة للحسين المروزي برقم (158).

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (2650), ومسلم في "صحيحه" برقم (4182).

(3) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (18378), وأبو داود برقم (3544).

ثالثاً: الدعاء للأبناء:

إن ما يعين الأولاد على البر الدعاءُ لهم بالهداية والصلاح، وهذا دأب الأنبياء كما يحدثنا القرآن الكريم.

فهذا إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات:١٠٠].

ويقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم:٣٥].

وزكريا عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران:٣٨] ، والمؤمنون يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤].

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوةُ المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»[3] , يعني أو له.

ولئن كان الدعاء للأولاد يكسبك بِرَّهم, فإن دعاءك عليهم يورثك العقوق.

شكا رجل إلى أحد العلماء عقوقَ ولده فقال له: أكنتَ تدعو عليه بشيء؟ قال: الأب: نعم, أن لا يوفقه الله, فقال العالم: لقد فعل الله, أنت أفسدته!

قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة فينزل فيها إعطاء فيستجابَ لكم»[1].

رابعاً: تربيتهم تربية إسلامية صحيحة:

فالتربية الإسلامية تعين ولدك على البر، وتربيه على البر، وتدربه على البر، وتدفعه نحو البر, وكم من مرةٍ جلست مع شباب في غيبة عن آبائهم في مسجد من المساجد أحدثهم عن البر وأدعوهم إلى البر فأبكي ويبكون.

---

(3) أخرجه أبو داود في "مسنده" برقم (1536), والترمذي في "جامعه" برقم (1905), وأحمد في "مسنده" برقم (7510) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(1) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (1532) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ .

وأنا متأكّد أن آخرين بعيدين عن التربية الإسلامية يجلسون مع الأبناء ليقولوا لهم في غيبةٍ عن آبائهم: إن أباك رجلٌ رجعي، إن أمَّكِ ذات الحجاب متخلفة, إن طاعتَك لوالديك دليلُ نقصِك وعدمِ اكتمال رجولتك...

إن التربية الإسلامية تقوم على بر الوالدين, وإن التربية غير الإسلامية لا تحسب للبر حساباً.

إنك عندما تأخذ أولادك نحو بيوت الله، نحو أهل القرآن، نحو أصحاب الخير، فأنت تأخذ بيدهم نحو البر.

وإنك عندما تدفع أولادك إلى المدارس العلمانية، أو المدارسِ ذاتِ المناهج الغربية، أو أصحاب المقاهي والملاهي، فأنت تنزع منه البر, أو على أقل تقدير أنت لا تعيرُ البرَّ عنده أيَّ اهتمام.

إن البر تربية، وإن العقوق تربية... شابٌّ يدرس في كلية الطب سافر الصيف الماضي إلى لندن لمدة شهرين ليتبع إحدى دورات اللغة الإنكليزية، استأجر غرفة في دار عند عائلة إنكليزية مؤلفة من زوجة بلغت الستين وزوج جاوز الستين، وحدهما.

عاد متأخراً إلى المنزل في أحدِ الأيام وقد نام أهل البيت فشاهد في المطبخ أوانيَ متسخةً فأحبَّ أن ينظفها مساعدةً لهذه المرأة المسنة، ففعل, وعندما أصبح الصباح قالت له المرأة: من نظف الأواني؟ قال: أنا، قالت، كم تريد أجراً؟ فابتسم مستغرباً, وقال: لا, لا أريد, فعلتُ لوجه الله لأخفّف عنك فقط.

قالت له: عندنا كلُّ شيءٍ بثمن, لا يوجد شيءٍ كما تقول أنت: لوجه الله؛ إن ابنتي تأتيني كلَّ أسبوع مرة لمدة ساعتين لتطبخ لي ولأبيها وتأخذ على هذا أجراً، وابني في كل عام يتصل بي في يوم عيد الأم إذا سنحت له الفرصة.

هذه هي التربية الغربية, التربية العلمانية, التربية التي لا تحسب للدين حساباً.

أتريد لابنك مثل هذه التربية؟! إن التربية الإسلامية الصحيحة تعين بها ولدك على برك.

خامساً: لا تكلفْهم ما لا يطيقون:

إذا أردت بر أولادك بك فلا تكلِّفهم ما لا يطيقون, فالأم التي تطلب من ابنها أن يطلق زوجته تكلفهُ ما لا يطيق, وهي تدفعه إلى العقوق, والأب الذي يثقل كاهل أبنائه بطلباته المادية بغير حاجة ملجئة يكلفهم ما لا يطيقون, وهو يدفعهم إلى العقوق.

الأم التي تدعو ابنتها إلى هجر زوجها تكلفُها ما لا تطيق, وتدعوها إلى العقوق, الأب الذي يصب على أولاده الشتائم, أو يوبخهم في حضرة أصدقائهم, يكلفُهم أن يتحملوا ما لا يطيقون, وهو يدفعهم نحو العقوق.

وربنا جل جلاله مع عظيم حقه على عباده قال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦], **ودعا المؤمنون ربهم قالوا:** ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة:٢٨٦]

أيها الإخوة:

خمسة أمور تعين بها ولدك على برك:

1- اختيار أمه.

2- العدل بين الأبناء.

3- الدعاء لهم.

4- تربيتهم تربية إسلامية صحيحة.

5- ألا تكلفهم ما لا يطيقون.

والحمد لله رب العالمين